

المحاضرة الثامنة : علاقة الفلسفة باللغة العربية .

مقدمة :-

تعد قضية اللغة في التراث العربي أكثر المحطات وقوفاً في تاريخهم الفكري واللغوي، فاستوقفت أذهان العلماء ، واستقطبت جهودهم ، وانعطفت أعناقهم نحوها ، فتناولوها منذ قرون واشتغلوا بها ، وكانت قضية عصرهم الشاغلة ، فتسابق كثير من العلماء للتفكر في جوهرها وحقيقتها ، وإدراك ماهيتها . فكان أبرز وأهم تعريف للغة في التراث العربي ما أورده علامة عصره **ابن جني** (392 هـ) في كتابه «**الخصائص**» ليعدّ من التعريفات الشاملة والمتكاملة، عندما عبر فيه أن **(اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)**.

إنّ طرح ابن جني لهذا المعنى يعدّ إنجازاً كبيراً لعلم اللغة في التراث العربي ، وقفزة واثبة نحو التقدّم الفكري اللغوي، حيث إنّهُ عمد إلى حصر هذا المعنى حصراً موجزاً ومدللاً، وقدّم وصفاً دقيقاً لمعنى اللغة من غير انتقاص لجوهره، وإنّ أهم ما يميز هذا التعريف أن ابن جني جعل مفهوم اللغة **أصواتاً**، ولم يجعلها **ألفاظاً** أو **حروفاً** كما عهد عند غيره ممّن تناولوا تعريف اللغة ، ولم يجعل

هذه الأصوات على إطلاقها، إنّما قصرها على الكلام الذي يصدره
بنو البشر ، فكان توظيفه لها توظيفاً دقيقاً ومناسباً ، وزاد دقتها
أيضاً أنّ (الأصوات) **أعمّ وأشمل** بمعناها **الواسع من**
(الفاظ ، أو كلمات ، أو معان). **وهو يرى أنّ اللغة نظام اجتماعي** ،
فمن خلالها :-

يتواصل البشر على اختلاف لغاتهم وألسنتهم ، فهذا النظام لا بدّ أن
يتوفّر للغة ، لأنّه يساعد في بقائها وديمومتها، وهو لم يصرف
النظر عن وظيفة اللغة الأساسية التي تؤدّيها، وهي **(التعبير)**
إذ يحمل هذا المصطلح دلالات كثيرة أهمّها :-

التعبير عمّا يجول في الفكر من **عواطف وأحاسيس** ، فبوساطة
اللغة يستطيع البشر **نقل أفكارهم ، والإفصاح عن انفعالاتهم**
والتعبير عن أغراضهم التي يحتاجونها.

فهذا التعريف ترك للباحثين إرثاً لغوياً يهدون به ، ومنه ينطلقون.
فالنسق العام الذي احتواه تعريف ابن جنيّ للغة، لم يسبقه إليه أحد
من العلماء والفلاسفة الذين تناولوا قضية اللغة ، إذ يتضح أنّ ابن
جني في تعريفه للغة قد انطلق من خلال فهم عميق للغة ، ولم
ينطلق من مفاهيم أخرى قد يكون لها جذورها الفلسفية أو المنطقية
، وهذا لا يعني أنّ **أبا الفتح** لم تكن له ارتباطات فلسفية أو منطقية،
لكنّ تفسيره للغة حمل دلالات واضحة وشفافة تركت عظيم الأثر في

نفوس علماء اللغة من بعده ، ترتب عليها أن كثيراً من علماء العربية القدامى اتخذوا هذا التعريف كمعنى مسلّم به ، لدقته وشموليته ، حيث تناقلته كتبهم وحوته بين دفتيها من غير نقص أو اقتطاع ، ناهيك عن توظيف المحدثين له في كتبهم ، فقلّما تجد كتاباً يتطرق إلى معنى اللغة، ولم يرد في ثناياه ذلك التعريف ، وبعد هذا العرض الذي سقناه لأهميته المميزة في الحقل اللغوي لتعريف اللغة عند بعض فلاسفة اليونان وابن جني .

فإنه يمكن لنا أن نصوغ تصوراً شاملاً لمعنى اللغة بناءً على تلك التعريفات التي تتلاقى في نهاية الأمر عند نقطة تبيان وإيضاح مفهوم اللغة التي تعدّ :-

- 1- **الهوية الإنسانية على هذه الأرض .**
- 2- **اللغة هي الوسيلة الناجحة التي ترقى بالبشر نحو الرقيّ .**
- 3- **اللغة هي نظام يتكوّن من الرموز المنطوقة صوتاً، ينطق بها الإنسان للتعبير عن الفكر والإفصاح عن المشاعر والانفعالات النفسية ، ويتواصل من خلالها مع الآخرين كظاهرة اجتماعية مرتبطة بعملية فكرية.**
- 3- **اللغة هي جزء من الكيان النفسي للإنسان ، وطبيعة واحدة في البشر مختلفة بين أمة وأخرى في نظامها الصوتي .**